فى مجلات الشرق

فن الكذب

فى العدد الثالث من مجلة «المعرفة» التى تصدر فى دمشق ، مقال بهذا العنوان للأستاذ عزت النص ، يريد فيه أن يبرهن لقرائه على أن « أعذب التاريخ أكذبه ! » فاذا كان الشعر — أو الأدب — هو فن الكذب السافر فان التاريخ — فيما يراه — هو فن الكذب المستتر !

وفى سبيل دعم هذا الرأى ، ثم فى سبيل الارتفاع بمرتبة الكذب بين الفنون — ينقل الكاتب كلاماً للأديب الأمريكى مارك توين فى الدفاع عن « فن الكذب » يسوقه مساق الفكاهة وإن لم يخل من مغزى جدى صارم . فاذا فرغ من سياق هذا الحديث أخذ فى حديث آخر عن كذب التاريخ ، وراح يناقش بعض أكاذيبه المروية ، ويعرض للاسس التى يعتمد عليها المؤرخون لما يروون من أخبار التاريخ ، فينقضها أساساً بعد أساس ؛ فهل هناك إلا شهادات الشهود وقصص الرواة وحكايات الاخباريين ؛ « فهل هؤلا كلهم موضع ثقة ؟ . . . » ثم هنالك المخلفات المادية ، الصامتة والناطقة ، من أوابد وأنصاب وتماثيل ورسائل . « أكل حجر منقوش وإن صح نسبه واتصل سببه ، ثبت صدقه ووجب تصديقه ؟ . . . »

« وما العمل إذا انعدمت الوثائق أو صمتت ؟ . . . هنالك فى سلسلة الحوادث التاريخية حلقات مفقودة يعمد المؤرخون إلى إيجادها بالاجتهاد العقلى ؛ فما هو نصيب هذا الاجتهاد الفرضى ؟ »

ويمضى الكاتب فى نقض تلك الأسس على طريقته حتى ينتهى إلى ما يريد ليلفت الأنظار إلى « نسبية الحقائق التاريخية » ، ثم إلى ما تجمع كتب الأخبار والتواريخ من تناقض ومعارضة يؤكدان أن كتب التاريخ ، إن لم تكن كذباً خالصاً ، فلنهاعلى أى أحوالها ليست صدقاً خالصاً !

بريطانيا فى الشرق

ويحرص الأستاذ خالد بكداش فى عدد يناير من مجلة « الطريق » — بيروت — على أن يعرض لقرائه «السياسة البريطانية فى الشرق العربى» وحالة بريطانيا من القوة أو الضعف بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو يرى أن هذه الحرب قد انتهت ببريطانيا إلى الضعف وأبرزت تجاعيد الهرم والشيخوخة فى هيكلها المتداعى . . .

« وفى الحق كم جهد عمال الامبراطورية ودعاتها وكم اخترعوا ولفقوا لاقناع الناس بأن أمهم على شيخوختها ما تزال فى تمام العافية ، ولكن الناس لم يصدقوا شيئاً من صحة العجوز ! . . . »

ثم يحاول الكاتب فيما يلى أن يصف أثر ذلك الضعف وتلك الشيخوخة فى سياسة بريطانيا فى الشرق ، وكيف أخفقت فى كل ماتحاول ، وعجزت عجز الضعيف عن تنفيذ ما كانت تعتزم من فنون سياستها الاستعمارية ، فيصف ما كان من أمرها فى سوريا ولبنان ، وكيف بيتت النية لسلخهما عن فرنسا لتستأثر فيهما بالنفوذ والقوة من دون حليفتها ، فباءت بالخيبة وأخفق تدبيرها واستقلت سوريا ولبنان عن فرنسا وانجلترا جميعاً ، وعاد البلدان لأهلهما حرين مستقلين .

ثم كيف أفلت العراق — فيما يرى — من القبضة البريطانية الهاشمية ، فأصبح الجلاء هو الشعار الأول للحركة الوطنية العراقية ، وقوى معناه فى كل نفس حتى لقد أحجمت بريطانيا عن طلب تعديل المعاهدة العراقية القديمة — كما كانت تأمل — لئلا يكون ذلك سبباً إلى تنبيه العراقيين إلى المطالبة بالجلاء !

ثم يصف الموقف البريطانى من قضية وادى النيل ، وكيف أخفقت السياسة الانجليزية إخفاقاً ذريعاً فى الوصول إلى شئ مما حاولته بشتى الأساليب لخداع المصريين عن حقهم فى الجلاء ووحدة الوادى على كثرة المحاولة والمطاولة والحيلة واصطناع الأنصار .

ويعرض بعد ذلك لقضية فلسطين والصهيونية ، ولم يكن إخفاق بريطانيا فيها أقل منه فى غيرها من البلاد التى تحاول إخضاعها لسلطانها بالقهر أو بالخداع والحيلة ، بل لعل إخفاقها فى هذه القضية كان أذل وأخزى .

ولا يفوت الكاتب أن يعرض لسياسة بريطانيا فى شرق الأردن وما تأمله من بعث أسطورة « سوريا الكبرى » لتضم تحت جناحها الدار والجار ، وتجد سبباً آخر إلى ما عجزت عنه فى سوريا ولبنان وفلسطين . . . ويستمر الكاتب فى إيراد الشواهد على ضعف سياسة بريطانيا وعجزها وضعف أسباب حيلتها بعد الحرب حتى ينتهى إلى ما يريد لينبه حكومات الشرق العربى وشعوبه إلى الفرصة المواتية لهم ليستخلصوا حرياتهم ويحققوا لبلادهم معانى الاستقلال .

مؤتمر الأدباء العرب

ويتساءل الأستاذ سامى الكيالى محرر مجلة « الحديث » — حلب — فى عدد يناير الماضى : لماذا لا يتداعى أدباء العربية فى مختلف أقطارها إلى مؤتمر عربى عام يداولون فيه الرأى حول ما يعنيهم من شئون الأدب ، وحقوق التأليف ، ووسائل نشر الثقافة وترقية الفكر العربى ؟

ويرى أن الأدباء كانوا أحق الطوائف بأن يكون لهم السبق فى الدعوة إلى مثل هذا المؤتمر العام ؛ لأنهم — قبل غيرهم — كانوا دعاة هذه الجامعة المؤتلفة ، ومن صدى هتافهم كان هذا الوعى المستيقظ فى نفس كل عربى .

« أفلا يجدر بهم أن يتنادوا لعقد مؤتمر دورى كل عام يدرسون فيه مشاكل الأدب وحقوق الأدباء والمؤلفين وموقفهم من بعض الحكومات التى تطغى أحياناً بتصرفات تتنافى وكرامة الأدب ، وغير ذلك من الأمور التى تتصل بحياتنا العقلية . . . فهم اقل الناس استفادة من مجهوداتهم الضخمة ، فلا تزال حقوقهم مهضومة ، وجهودهم غير معترف بها ؛ ولاتزال بعض الهيئات الرسمية تنظر إليهم نظرات غير جديرة بالمكانة اللائقة بهم . . . »

ثم يردف بعد تفصيل فكرته :

« إن « الحديث » تدعو إلى عقد مؤتمر أدبى تدرس فيه كل مشاكل الأدب ، فلدينا عدة قضايا هامة تستوجب اجتماع كبار أدباء العرب لبحثها : حالة الأدباء ، موقف الحكومات من اتجاهات الأدب ، حقوق المؤلفين ، حرية التفكير ، الأدب القومى والأدب الانسانى ، الجوائز الأدبية ، تشجيع

المؤلفين ، التأليف والترجمة والنشر ، الصحافة الأجنبية التى تصدر بلغة الضاد . . . على أن يكون هذا المؤتمر التمهيدى الركيزة الأولى لمؤتمرات عديدة تشترك فيها المجامع العلمية والجامعات والصحافة ودور النشر ، لوضع خطط واضحة لازدهار الأدب العربى وتعزيز مكانة الأدباء ، ووضع خطط ومناهج واضحة لسير الأدب العربى فى مجرى التطور العالمى » .

الأدباء كسالى

ويتناول الأستاذ رئيف خورى فى العددين ٤٤٧ ، ٤٤٨ من مجلة « المكشوف » — بيروت — موضوعاً طريفاً جعل عنوانه « الأدباء والكسل والعزلة » ، فيتحدث عن طائفة من الأدباء أو المعروفين بالأدب يؤثرون الكسل والبطالة واعتزال الناس مكتفين بما بلغوا من حظ كبير أو ضئيل من الشهرة . فاذا سألتهم لماذا آثروا البطالة والاعتكاف احتجوا بضيق نطاق الحرية أو بسوء تقدير الجمهور وقلة التشجيع أو الضيق بالناس ، إلى غير ذلك من المعاذير التى لا تعفيهم مما عليهم من تبعات وما يقتضيهم الأدب من حقوق .

و يرد الكاتب هذه الظاهرة بألوانها المختلفة إلى أن فى مزاج أكثر أهل الفنون نوعاً من النفور يبتعد بهم عن الناس ، وهى ميزة ، أو عاهة ، واسعة الانتشار فى أدباء العرب شأنهم فى ذلك شأن معظم أدباء الأمم . ثم يقول :

« وأكبر الظن أن هذا النفور من الناس فى مزاج الأدباء يرجع بعضه إلى دلال وكبرياء قل من الأدباء من تخلو نفسه منهما أو من أثر لها . يعتقد الأديب — بمجرد ما يكون أديباً — أن فيه سرا يضع مرتبته فوق الناس ، وأن له على الناس حق الخدمة والاعزاز ، فيلبث مكتوف اليدين يتوقع منهم تلك الخدمة وذلك الاعزاز . . . ولكن الناس منهمكون فى مشاكل حياتهم لا يلتفتون إليه ، فيأخذه الحنق عليهم ، ويدفعه الحنق إلى التيه والتجنى على الناس ثم إلى الاستخفاف بهم ، وهو لاعتقاده بأن له حقا عليهم لا يغفر لهم أن يسيئوا إليه مهما أساء إليهم . . . »